قسم اللغة والأدب العربي_جامعة أم البواقي_

محاضـرات مـادة (النقد النفساني) السنة الثالثة ليسانس، تخصص:نقد ومناهج

إعداد الدكتورة:دلال فاضل

المحاضرة: 1+2

يوم: 2021/05/02

الأفواج: 01-02.

عنـــوان المحاضرة: من التحليل النفسي إلى النقد النفسي+ النقد النفسي.

إن المتتبع لمسار الدراسات النفسية للأدب يلاحظ أنها قد خضعت لتغيرات عديدة، نظرا لتغير الرؤية النقدية في هذا الإطار، إذا "انتقل الاهتمام النقدي بالمجال النفسي من البحث في نفسية المؤلف إلى الشخصية في العمل الأدبي، ومن ثم من نفسية القارئ، منها إلى العلاقات بين المؤلف والقارئ والنص واللغة." وتأسيسا على هذه التغيرات، فقد يقف الدارس عند "مرحلتين جوهريتين تباينتا من حيث الروافد المعرفية، ومن حيث المفاهيم والإواليات التي تبنتاها في مقاربة النص الأدبي: مرحلة أولى ينعتها النقاد بالتحليل النفسي للأدب، وقد كان خلالها النص الأدبي مجرد أداة لتعزيز وإضاءة كشوفات المحللين النفسيين حول العقد النفسية المستترة في اللاشعور. ومرحلة ثانية هي مرحلة النقد النفسي للأدب، وقد أضحى النقاد خلالها شديد الاهتمام بالمكونات الداخلية للنص الأدبي، وهادفين من خلالها إلى استغوار الحياة النفسية للمبدعين."

لقد عمّق الناقد الفرنسي شارل مورون charles Mauron (1899-1966) طروحات فرويد المتعلقة بالتحليل النفسي للأدب، مستندا في ذلك على "تكوينه المعرفي المتنوع؛ فقد درس الأدب الانجليزي والعلوم الإنسانية والتجريبية وعلم النفس، وسعى جاهدا لطرح تصور جديد للدراسات الأدبية" متشبعا بالفكر البنيوي، ويتغيا إضفاء البعد العلمي على الدراسات النفسية للأدب، فإليه يرجع الفضل في بلورة مصطلح النقد النفسي psychocritique سنة 1948.

وقد "كانت بدايته مع الدراسة التي قام بها حول أعمال الشاعر الفرنسي مالارميه عام 1941، فاتحا بذلك باب الدراسة الأدبية أمام أفق جديد، يعمل على تعميق فهمنا واستيعابنا للدور الذي يؤديه اللاشعور في تشكيل وبناء الآثار الأدبية، وهو الشيء الذي أنار الطريق للبحث عن اللاوعي عند الكُتّاب، وأبعاده الدلالية والإبداعات الأدبية". وقد "تبلور هذا التوجه بشكل متكامل من خلال أطروحته حول "اللاوعي في حياة وأعمال راسين" (1957)، وكذلك دراسته الموسومة بـ "من الاستعارة إلى الاستعارة الشخصية" (1962)، ويرى في هذا الشأن أن النقد النفسي هو تطبيق مبادئ التحليل النفسي على النقد، وهذا يقودنا بالضرورة إلى ملاحظة خلاف بين الحقلين، فالتحليل النفسي ينطلق من "المادي" ليصل إلى الإنسان، والمقصود بالمستوى المادي هو المعلومات المتاحة التي يوفرها لنا الشخص المعني بالتحليل، والذي يقدم لنا المعلومات بغرض الشفاء؛ أما النقد النفسي فإنه ينطلق من المادي إلى المادي مرورا بالإنسان، وفي هذه الحال فإن المقصود بالمادي ليس الشخص الذي يتكلم كما في الحالة السابقة، بل عمل أدبي ينبغي شرحه وتحليله."

ومن هذا المنظور فقد أصبح النقد النفسي "يبحث لدى المبدع عما يمكنه أن يشرح بنية ونشأة العمل الأدبي، فهو لا يقوم بتشخيص مرض وإنما يعمل على ربط الصلة بين العلم والفن، وسيكون مصيره الإخفاق إذا فقد الاتصال مع أحدهما."

لقد تعامل شارل مورون مع أعمال راسين تعاملا مغايرا لتعامل المحلل النفساني، فهو لم يركز على الذات المبدعة كما كان سائدا في الدراسات النفسية للأدب سابقا، وإنما ركز على الإنتاج الأدبي، إيمانا منه بأنه "ليس من اهتمامات النقد التعامل مع الكاتب بل مع العمل الأدبي، لإبراز غناه وتوضيح معانيه ودلالاته عبر إضاءته وإثرائه وتوسيع بل وتوطيد تواصلنا معه".

"ويعتقد مورون أن القضية الهامة التي تواجه الناقد الأدبي، هي تفكيك الشيفرات الموجهة والمتحكمة في العمل الإبداعي للمؤلف واكتشاف الرؤية المهيمنة سواء أكانت فردية أم خاضعة لتصور جماعي منعكس في ثنايا النص. ويمكن الوصول إلى معرفة هذه الرؤية وتفكيكها عبر الأدوات التي يمنحها التحليل النفسي، ومن هنا تصبح دراسة أعمال راسين لا تسعى إلى القيام بتحليل نفسي للكاتب، بل تبحث عما تنطوي عليه أعماله من مدلولات."

بهذا المعنى فمورون يتصور النص الأدبي "صدًى للبنية النفسية للاوعي المؤلف، وللسيرورة الاجتماعية التاريخية عبر وسط أساسي هو اللغة، التي تمثل الحلقة الأساسية الرابطة بين مختلف المكونات، والواجهة التي تتواصل معها لبناء التصور الدلالي للنص، فكل أثر فني حسب مورون هو "نتيجة ثلاثة متغيرات هي المصادر الخارجية، المصدر الداخلي واللغة، ولا يمكننا أن نهمل واحدًا ومنها، غير أن الأخيرة منها تبدو الأهم... والتوازن بين العالم الداخلي والخارجي يترك صداه في العمل الفني."

وتجلت أهمية تصور مورون أكثر عبر نشر كتابه "من الاستعارات الملحة إلى الأسطورة الشخصية" الذي "دعا من خلاله إلى التعامل مع الأثر الأدبي باعتباره مجالا للاستثمار النقدي عبر اللغة للوصول إلى البنية النفسية، لا أن يرصد الأثر الأدبي على أنه وثيقة معرفية لأن النقد النفسي يسعى لأن يكون جزءا من الدراسة الأدبية لا أن يحل محل النقد الكلي، والناقد الأدبي ملزم بحدود مبحثه الجمالي وبمتابعة البناء اللغوي في التواءاته وتلويناته الأسلوبية والبلاغية، وعليه أن يرصد كل الصيغ الاستعارية والبلاغية التي تشكل

فضاء وسيطا بين كوامن نفسية الكاتب، ولا شعوره وبين المتلقي". وقد اتخذ في هذا النطاق أشعار مالارميه متنا للاشتغال، ليؤسس أطروحته على الصعيد الإجرائي القائمة على "الكشف عن الصور والاستعارات الملحة التي تتواتر في ثنايا النصوص الأدبية لمبدع معين، وهي دليلنا للكشف عن البنيات اللاواعية للمؤلف" ويحصر شارل مورون مراحله التطبيقية في مايلي:

1-"الكشف بواسطة تطابق، وتراكب النصوص عن شبكات علائقية وصور ملحة وتداعيات غير قصدية تتواتر في النص الأدبي.

2-الوصول إلى الأسطورة الشخصية للمؤلف من خلال توليد رموز ومواقف دراماتيكية مرتبطة بالإنتاج الاستيهامي، فالأسطورة الشخصية هي التصورات والاستيهامات الأكثر تكرارا عند كاتب ما، ومنبعها سن المراهقة أو التقمصات المتتالية الكامنة في اللاوعي.

3-تأويل الأسطورة الشخصية على أساس أنها تعبير عن الشخصية اللاواعية وتطورها وتاريخها.

4-مقارنة النتائج المحصل عليها مع المعلومات البيوغرافية والترجمة الذاتية التي تستند إلى التفسير والتي لا يستقيم مدلولها إلا من خلال النصوص".

إن هذه الخطوات طبقها على أشعار مالارميه وتوصل إلى أن "تيمة صورة الموت هي التي تحاصر كل نصوصه الشعرية...-فأعماله- خاضعة في تكونها لرغبة لاواعية شكلت دافعا داخليا، وتحكمت بصورة كبيرة في بنية التخييل لديه، وبمرور الزمن أصبحت طابعا مميزا لجميع أعماله، ولبنية الفضاء المتخيل لديه، إنها بنية صراعية متناقضة كامنة في اللاوعي"...

عموما فمنهجية مورون "قائمة على مبدإ التراكب أو التطابق، فقد رصد في قصائد مالارميه، وفي مسرحيات راسين شبكة من الصور الملحة والمواقف السيكولوجية المحكومة بالتكرار والتواتر من نص لآخر."

وقد انتقد عديد النقاد تصوره النقدي هذا منهم جيرار جنيت في كتابه "عتبات" وسارج دوبروفسكي في كتابه "لماذا النقد الجديد" حين وصف أعماله "المعتمدة على مبدإ المطابقة بأنها اتصفت بالعلمية المفرطة التي غيبت الجانب الإبداعي، وسعت إلى التفسير الذي يقترب من المعالجة السريرية التي تعتمد على الليبيدو في التحليل النفسي."

المراجع المعتمدة:

1/ عمر عيلان: في مناهج تحليل الخطاب السردي.

2/ أحمد الجرطي: تمثلات النظرية الأدبية الحديثة في النقد الروائي المعاصر.